Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تكاد من النقع المثار كماتها تناثر أحياناً وإن قرب النَّجْرُ
عجاج يظل الملتقى منه فى دجى وإن لمعت أسيافه طلع الفجر
وخَيلٍ يلف النشر بالترب عدوها وقتلى يعاف الأكْلَ من هامِها النَّسْرُ

وهذه كلها أشعار تدل أبلغ الدلالة على ما حظى به القاضى الجليس من شاعرية بارعة وأنه كان حريًّا بما وصل إليه من مجد فى عهد طلائع، فهو يملك قياد الشعر ويسلس فى يده منه ما لا يسلس فى يد غيره من معاصريه، فقد كان يعرف كيف يرصف أساليبه وكيف يحليها بألوان البديع من جناس وغير جناس، وكيف يمسح عليها أو قل كيف ينقشها بالصور والأخيلة. وهو فى ذلك كله لا ينبو عن الأذن، بل لا يزال يطلب الاطراد الموسيقى والائتلاف الصوتى، واستمع إليه يقول:

أَلَمَّتْ بنا والليل يُزْهى بلمةٍ دَجوجيَّةٍ لم يَكْتَحِلْ بَعْدُ فَوْداها
فأشرق ضَوءُ الصبح وهو جبينُها وفاحَتْ أزاهيرُ الرُّبى وهى ريَّاها
إذا ما اجْتَثَتْ من وجهها العين رَوْضةً أسالت خلالَ الروض بالدمع أمواها
وإنى لأسْتَسْقى السَّحاب لربعها وإن لم تَكُنْ إلا ضُلوعىَ مأواها
إذا استَعرت نارُ الأسى بين أضلُعى نضَحْتُ على حرِّ الحشا بَرْدَ ذِكراها
وما بى أن يصلى الفؤاد بحرِّها ويضرم لولا أن فى القلب مأواها

ولا ريب فى أن هذه القطعة مكتظة بالصور والشعور المتدفق. ودائماً صوره وبديعه على هذا النحو، فصناعته ليس فيها تعقيد، وكل ما يحشده من أخيلة وغير أخيلة لا يحول بيننا وبين معانيه، كأنه النقاب الشفاف الذى لا يستر شيئاً مما وراءه. وكان يهديه إلى ذلك حس دقيق دقة بعيدة، وهى دقة تجلت فى كثير من جوانب شعره، ومن طريف إبداعاته قوله فى رثاء أبيه، وقد مات غريقاً لريح عصفت بمركبه: